أزمة الهوية المعمارية المحلية فى ظل تحديات الفكر المعاصر

أ.م.د. مهند محمد العجمى* د.م. على محمد الحسينى **

ملخص

إنشغل الكثير من المعماريين وغير المعماريين بأزمة الهوية المحلية وضياع الطابع الخاص بنا فى ظل اجتياح الفكر الغربى لمختلف جوانب الحياة فى مجتمعاتنا. ويظهر ذلك بوضوح فى شكل العمارة حيث اشتمل الشارع المصرى على مزيج من الأشكال والأنماط التى تدعو للتفكر فى سبب ضياع طابع ننتمى إليه. وقد تناول البحث نوعين من المبانى التى تعبر عن واقع الفكر المحلى، أولاهما العمارة "التلقائية" وهى التى تنتشر دون تكلف فى الفراغات العمرانية سواء كانت قد صممت بغير إعطاء وزن كبير لعملية التصميم أو حتى غير مصممة من قبل معماريين من أصل وتساير الركب فيما هو تقليدى. أما النوع الثانى وهو العمارة "المتعمدة"، ويتمثل فى تلك المبانى التى لاقت اهتماما بعملية التصميم المعمارى وبالرغم من ذلك لم يراعى فيها إبداء الروح المحلية لتعبر عن هويتنا الأصيلة. وتحاول الورقة أن تتوقف بالتحليل عند تعبير المبانى الحالية لهوية حقيقية للمجتمع المحلى دون تجمل سواء من خلال الظواهر العشوائية للبناء المنظم فى الأحياء الغنية ومدى انصياعنا للفكر المستغرب فيها، أو من خلال المساكن النمطية المنتشرة تحت اسم العشوائية والتى فى حقيقتها نمط متكرر يحكمه نظام متجانس يعبر عن هوية قطاع كبير من المجتمع يمر بأزمة إيواء ويتحكم فى حياته الفكر المادى لأفضل الحلول المتاحة بأرخص التكاليف. وتتعرض الورقة إلى محاولات البحث عن الهوية المستمدة من الماضى والوقوف على تعاطفنا بالحنين عند البحث عن ذاتنا من خلال التراث أو العمارة البيئية ولكن غالبا ما تعترضها المعوقات لأنها لم تعد متوافقة مع معطيات الحياة بصفة عامة ولا تعبر عن هوية المجتمع الحقيقية سواء بسبب الافتعال فى المهارة الحرفية فى الإنشاء أو بسبب الفقر الفكرى الذى افتقد الثقة بالكلية عن ما هو محلى. وكانت النتيجة هى البحث عن الهوية والانسياق وراء كل ما هو غربى لدلالته فى الأذهان بصفة عامة على التقدم والجودة والكفاءة.

1- مقدمة

تعتبر العمارة مرآة لظروف الحياة السياسية والإجتماعية والاقتصادية للشعوب على مر التاريخ. فإن المعمارى يتفاعل مع معطيات عصره ومكان إقامته ليفرز بصفة تلقائية تعبيرا معماريا تبعا للمؤثرات من حوله. منذ القدم عبرت العمارة عن كافة نواحى الحياة، فنجد مثلا فى الحضارة الفرعونية استخدام الجرانيت لبناء المبانى الأخروية من معابد أو مقابر لإيمانهم بالبعث أما المبانى السكنية المؤقتة فكانت تبنى من الطوب اللبن، وهى المادة المتوافقة مع جسم الإنسان والبيئة

* أستاذ مساعد بقسم العمارة بكليةالهندسة – جامعة المنيا
** مدرس بقسم العمارة بكلية الهندسة – جامعة المنيا

المحيطة به , وكذلك لعبت العمارة دور تلك المرآة فى أرقى مراحل الحضارات ومازالت. وإن اتبعنا هذا المقياس على ما نمر به اليوم من تخبط معمارى لأدركنا مدى غياب الرؤية لمعطيات وظروف مجتمعنا ومدى اهتزاز القيمة والهدف والهوية. وإن أردنا إلقاء اللوم على المعمارى بعدم تعبيره عن هوية مجتمعاتنا لضعف إدراكه فلا يفوتنا أن ن ؤكد مدى صعوبة وضوح الرؤية لدى المعمارى نفسه كواحد من ذلك المجتمع المشتت الهوية وأن منتجه التصميمى يخضع لإرادة ورغبات فئات ذلك المجتمع. ولذا فإن الهدف من هذه الورقة لا يتطلع لإيجاد حل للوصول لهوية مكتملة الوضوح، وإنما الهدف هو إبراز جوانب المشكلة وتجنب تبيسط الموقف بمجرد إلقاء اللوم على المعمارى من ناحية، أو إلغاء دوره الهام فى هذا الاتجاه من ناحية أخرى.

وقد برزت تلك المحنة بوضوح منذ تعرض مصر والبلاد العربية للغزو والاحتلال ووقوع شعوبها تحت وطأة القوة والسيطرة والتى لم تنقطع قط منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى وقتنا هذا وإن اختلف الأسلوب بعد إجلاء القوة العسكرية من أراضيها , ولذا فإن تاريخ أزمة الهوية المعمارية المصرية أو العربية قد تركزت خلال القرن الماضى بالتحديد، ووقعت الرؤية المعمارية فى فخ التبعية فى انعكاس لمرآة التبعية فى الحكم أو السيطرة بأشكالها.
ولا يفوتنا إلقاء الضوء على ظروف العمارة فى الغرب مما اغترفنا منه بفكرنا المتأثر خلال أكثر من قرن، وذلك لبيان أن العمارة التى نسير فى ركاب تقليدها لها مبرراتها الذاتية والتى غالبا ما تكون مبررات ليس لنا بها علاقة البتة , وإن كان القرن العشرون قد شهد نهضة فى الغرب وتطورا تكنولوجيا قد انعكس على العمارة بشكل متطور فإنا لم نأخذ من ذلك سوى القشور بتقليد زائف مدعين بذلك مسايرة التطور الحقيقى.

2- الطابع والهوية

2-1 مفهوم الهوية

يقول المهندس حسن فتحى :" ما من أحد يمكن أن يخطئ طريقة انحناء القبة الفارسية وقوس انحناء القبة السورية، أو المغربية، أو المصرية. وما من أحد يمكن أن يخطئ تبين وجود نفس الانحناء ونفس البصمة فى القبة والجرة والعمامة التى تنتمى لمنطقة واحدة , ويتبع ذلك أيضا أن أحدا لا يستطيع أن ينظر بعين الرضا إلى المبانى التى تزرع فى بيئة أجنبية عنها."
إن الإنسان فى نزعته للاستقرار يستمر فى تنظيم البيئة من حوله بما يناسبه محاولا بلورة شخصية خاصة به يتفرد بها من خلال ترتيبه للأشياء وإظهارها للآخرين لإ ثبات نوعا من التبعية للمكان أو الملكية الرمزية، ومن ثم ينعكس ذلك على البيئة التى يعيش فيها وتتشابك العلاقات بين عناصرالمكان المختلفة وظروف المعيشة عل ى نحو معقد حتى تستقر فيما يمكن تعريفه "بالطابع".
والطابع هو محصلة تراكمية متنوعة خاصة بمجموعة من البشر من الأشكال المنتقاة التى تختمر بحكم الزمان وتكون ألفة بين الناس وبيئاتهم المختلفة، فيشعر المجتمع بالانتماء المتبادل بينه وبينها وترتبط به شيئا فشيئا فتميزه عن غيره من المجتمعات، فتنتشر لتشمل لغته أو ملبسه أو فنونه الشعبية. ولذلك بعد تكرار استخدام تلك الأنماط المفضلة تصبح أشكالا بعينها تفتن أفراد الشعب الواحد، فيستخدمونها فى مجالات جد متنوعة، نابذين فيما يحتمل أى تطبيقات غير ملائمة لطبيعة

معيشتهم أو تذوقهم. وبذلك يقوم كل مجتمع بتطوير لغة بصرية رائعة مفعمة باللون هى لغة خاصة بهم وتلائم تماما شخصيتهم ووطنهم.[1]

لذا فإن المنتج المعماري والعمرانى هو تلك البيئة المعبرة عن الشخصية المتميزة ويرتبط بالزمان الذي ينتمي إليه ، كما أنه يحتوى على مجموعة الصفات العامة التي تميز فترة زمنية معينة سواء فى الصفات أوالقيم أوالتشكيلات البصرية فى ملامحها الرئيسية والتفصيلية والتي تمثل الواقع الصادق لتميز المكان بشقيه الفراغ والانسان .أى أن الطابع المتمثل فى المنتج المعمارى هو ذلك الشيء المحسوس وغير الملموس وتساهم روح العصر في الإحساس به وتشكيله، كما تتدخل فيه فلسفة المكان وهو محصلة مركبة للثقافة المادية والروحية ، ويعكس بشكل دقيق الأفكار الذهنية وقيم ومبادئ المجتمع.[2]

وإن كان الطابع في مفهومه العام يعني السجية التي فطر عليها الانسان، والتلقائية النابعة عن البيئة، ويعكس بصدق ملامح البيئة والمجتمع وتقنياتهما[3] ، فإنه لا يبتعد كثيرا عن مفهوم "الهوية". فالهوية بضم الهاء لها دلالة لغوية واضحة على تعريف الإنسان بذاته وشخصيته المختلفة عن باقى البشر أو تميز مجتمع ما عن باقى الأمم. وإن كان الطابع هو الصفات الفريدة التى تميز هوية الإنسان فإننا قد آثرنا التركيز على استخدام مصطلح الهوية لأنه يميل بدلالته إلى التعلق بالعنصر البشرى ذاته وربطه بالعوامل الاجتماعية والنفسية وكافة الظروف المعيشية المكونة لشخصية الفرد أو المجتمع، بينما يميل الطابع للتعلق بوصف الأشياء المميزة والتى تدل على صفات ذلك الفرد أو المجتمع بصفة خاصة. أى أن الهوية تميل بوصف التفرد المعنوى للإنسان والذى يظهر من خلال بيئته المادية، فى حين أن الطابع يميل لوصف البيئة المادية التى ترتبط بإنسان بذاته. وبالرغم من تقارب لفظى الهوية والطابع فى المفهوم إلا أنه فى لغتنا الدارجة كثيرا ما نصف طابع المبنى بالرومانى أو الفرعونى أو النوبى أو بالحداثة أو بالعمارة التفكيكية أو غيرها فنقصد أنه بروحه وأساليبه الشكلية ينتمى لعصر ما أو شعب ما بصرف النظر عن انتماءه ل طبيعة المصمم أو المستعمل أو البيئة التى أنشئ فيها. فإن افتعال طابع ما ربما يربط المنتج بحقبة ما أو شعب ما ولكن هو فى حقيقته خارج نطاق الصدق فى التعبير عن الهوية المحلية. أى أن انتقاص العمل لتواؤمه مع واحد من عناصر "الإنسان، والمكان، والزمان" يزج بالزيف إلى الطابع. وبالرغم من قبول بعض المعماريون المحليون لذلك الزيف لمجرد انتسابه إلى طابع ما إلا أن اختلال تلك العناصر لا يعبر بأى حال عن هوية كان من المتوقع أن تكون امتدادا للموروث، ولكن تعبر عن هوية الباحث عن الخروج من ذلك الإطار بالكلية إلى رحاب هويات أخرى أكثر إقناعا له بالأفضلية أو تعبر عن أمنية الانحياز إلى هويات مخالفة تحت وهم الانتماء إليها .

2-2 فقدان التواصل مع الطابع الموروث

ارتبطت الهوية فى الموروث العربى من البناء باتصال القيم الأصيلة فى حياة المجتمع بما أفرزه من فكر معمارى. فقد تميزت العمارة العربية عبر العصور الإسلامية بصفات فريدة أوجدت

---

(1) **حسن فتحى :"عمارة الفقراء"** ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمى - دار العين للنشرو التوزيع – الطبعة الثالثة- 2000 م ص 45. وقد نشر أصلا فى 1969 تحت عنوان "القرنة : قصة قريتين" فى طبعة محدودة ، بواسطة وزارة الثقافة فى القاهرة، ونشر فى 1973 بواسطة جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ونشر فى مصر لأول مرة 1989 بواسطة الجامعة الأمريكية فى القاهرة.

(2) **د/ سيد التوني : محاضرات تمهيدي ماجستير** - هندسة القاهرة -1983 .

(3) **د/ ايمان محمد عيد - "الطابع المعماري الاسلامي"** - 2002.

لها طابع متفرد يعبر بصدق عن هوية مجتمعات تلك العصور ، يستمد أصالته من القيم والمبادئ الإسلامية ، والتي صاغها المعماري العربي في أعماله وشكل البيئة العمرانية للمدن العربية في إبداع يوصف بالواقعية والعقلانية ، ومن ثم يشعر الإنسان بآدميته وإنسانيته في هذه البيئة الفيزيائية المشيدة ، التي توافقت مع عاداته وتقاليده و نجحت فى تحقيق كافة المتطلبات الإنسانية إلى حد كبير . وتآلفت العادات والتقاليد فأوجدت نوع من التوحد في الفن المعماري بالمستقرات العربية ، وبالتالي طابع واحد، حيث يرتبط الطابع بالقيم والعادات والتقاليد والمقومات الحضارية للمجتمع.

ومن أهم ما تميزت به العمارة فى التراث العربى البساطة والصراحة في التعبير والقوة ، و حققت الوظيفة بحرفية شديدة حيث استفادت من الامكانات المحلية المتاحة و سايرت التطوير الدائم في تقنيات البناء. وقد تأكد الطابع المتميز للعمارة العربية التراثية من خلال احترامها للظروف البيئية والتوافق مع المحيط الطبيعي للمكان . ولما انتشر الاسلام فى المنطقة العربية وتلاشت الحدود السياسية والعقائدية وتقاربت القيم العامة للحياة تشابهت أساليب العمران فى الفكر الأساسى وترابطت حتى تكون للأمة شخصية مميز ة وطابع واحد ويختلف في بعض التفاصيل من دولة لأخرى .

3-2 تعبير العمارة عن الهوية

لاشك أن للعمارة دورا هاما فى التعبير عن الهوية حيث تعبر عن أشكال الحياة فى أى مجتمع . فإنه يلفت نظر الزائر لأى بلد نوعين من المبانى، المبانى الشعبية المنتشرة والمتقاربة فى المستوى الفنى والتقنى والمكونة للنسيج العمرانى الغالب فى المجتمع ويمكن تسميتها بالعمارة "التلقائية" أو التقليدية ، والنوع الآخر هو المبانى ذات الوضع الخاص وهى قليلة ولكن كبيرة القيمة ولها وقع خاص ومتميز فى نظر المشاهد فتعلن بتفردها عن رمزية الفكر المسيطر لأطراف القوى فى المجتمع ويمكن تسميتها بالعمارة "المتعمدة" . و لم تكن هذه المبانى الفريدة فى أى من دول العالم للمعماريين المرموقين هى الجزء الأعظم من التشكيل العمرانى ولكن لانفرادها بالتميز فى الشكل أو الارتفاع أو فى الفكر تعلن عن شخصية مجتمعها وتكون بمثابة رسائل واضحة للتعبير عن الهوية. ففى كل عصر نجد هذين النوعين من المبانى يشكلان الطابع العمرانى للمكان، وكلا النوع ان ينبعان من واقع الهوية ويعبران عن شخصية المكان والمجتمع دون تجمل أو افتعال.

وفى مصر يظهر النوع الأول فى المبانى السكنية والخدمية الموجودة فى الأحياء المنتشرة فى المحافظات وهى وإن اختلفت شكلا فى تفاصيلها إلا أنها تشترك فى كثير من مقوماتها وأسلوب إنشائها وتنحصر مواد تشطيبها فى مجموعة من المواد المتعارف عليها. وهى تعتبر مبانى تلقائية سواء كانت نتاج تصميم معمارى ذو فكر تقليدى يعبر به عن الذوق العام فى معظم أحياء المدن أو قد بنيت بواسطة مقاول دون اللجوء إلى معمارى أصلا فى ما يسمى بالمناطق العشوائية . وظل يلعب ذلك النوع من المبانى دورا هاما فى تشكيل طابعا صادقا لكثير من المناطق معبرا عن هوية محددة مثلما فى مدينة رشيد أو مصايف جمصة أو مبانى النوبة أو حتى قرى الفلاحين فى أرياف الدلتا أو الصعيد حتى وقت قريب.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن انتشار المبانى العشوائية فى امتدادات العمران فى القاهرة الكبرى وغيرها هى عمارة تلقائية تشترك فى كثير من المقومات سواء فى التشطيب أو الإنشاء أو التكوين أو حتى التخطيط العمرانى لها. وهى وإن لم تكن مصممة على أساس من المبادئ الهندسية أو اتخذت اسم المبانى "العشوائية"، فهى لا شك ليست عشوائية بالمعنى الصحيح وإنما هى نمطية متكررة متجانسة. وهى تعبر عن هوية مجتمع يتكون من طرفين أساسيين، الطرف الأول مستغل (بكسر الغ ين) وهو صاحب تخطيط الأراضى والمبالغ فى ضيق المسافات العامة، والطرف الثانى هو المستغل (بفتح الغ ين) وهو يمثل الغالبية غير القادرة ماديا تحتاج إلى السكن غير عابئة بالجماليات المعروفة لدى المعماريين. (شكل رقم 1)

شكل رقم: 1
لقطة تقليدية لما يسمى بالعشوائيات تبين مدى التجانس المعبر عن تلقائية صادقة وتوافق فكرى لهوية قطاع من المجتمع

ولا تخلو المبانى التقليدية فى المدن من التعبير عن هوية المجتمع المتجه لطغيان المادة على حساب القيم الموروثة الأصيلة فنجد ضعف تطبيق القانون أوالتفرقة غير المبررة الموجودة فى عشوائيات الارتفاعات أوالاستثناء والتحايل أوالتكسب من هدم الفيلات وتشييد الأبراج تحت حمى الرفع الوهمى لقيمة الأرض. والسؤال المطروح أليس ذلك بكاف للتعبير بصدق عن أزمة الهوية ؟

أما المبانى "المتعمدة" فهى تلك المبانى المتميزة سواء السكنية أو العامة المعبرة عن أصحابها والتى أخذت حظها من التركيز فى عملية التصميم من خلال صفوة المكاتب الهندسية بحيث يمكن القول بأن كان هناك حرصا على أن تتخذ أشكالها التى ظهرت بها. ولا يدل التفاوت فى طابع تلك المبانى المصممة فى مصر إلا أنها قد خضعت لتعبير معماريين متفاوتى الاتجاهات والأفكار والفلسفات، كل بحسب خلفياته واتجاهاته الفكرية والتى كثيرا ما يتدخل فى قراراتها التصميمية ضغوط المالك المادية مما لا يعفى هذه المبانى من التعبير عن هوية متخذى القرار من أصحاب المقدرة سواء المادية أو السلطوية. و يظهر بوضوح فى المجتمع المصرى أن المبانى الهامة المتفردة لم يكن لها خط واضح أو طابعا يربط بينها ولا يدل الاختلاف فيما بينها إلا عن اتجاهات فردية متناثرة لا تجد لها عاملا مشتركا إلا فى تقليدية الإنشاء الهيكلى و الانحصار فى نطاق تشطيبات تقليدية يشوبها أحيانا القليل من الافتعال. ففى معظم الأبراج التى بنيت فى القاهرة من فنادق أو مبانى مكاتب تم الاستعانة بالخبرات الأجنبية فى التصميم والتنفيذ لما لها من مقومات تكنولوجية أكثر تقنية من إمكاناتنا المحلية، وكان من المنطقى أن تتخذ طابعا غربيا مفرغا من التعبير عن الهوية المحلية. هذا التعبير المعمارى المفتعل لمحاكاة العمارة فى الغرب ليس له خلفية فى واقع الشخصية المصرية تسانده، وغاب عنا أن العمارة بحداثتها الغربية ما قامت ولا تطورت

إلا لظروف الحياة المتشابكة للمجتمع فعبرت العمارة طبيعيا عن هوية صادقة. لذا فقد رأى الباحثان أن تلقى الورقة الضوء سريعا على ظروف ظهور المدارس المعمارية والتى تؤكد عبثية محاكاتها دون وجود ما يستدعى فى خلفية ظروف مجتمعنا.

3- التعبير الغربى المعمارى لمعطيات القرن

من أبرز البدايات لانعكاسات المجتمع على العمارة الأوروبية فى القرن العشرين ظهور مدرسة الباوهاوس والتى استمرت من عام 1919 وحتى عام 1933. وقد نشأت تلك المدرسة حتى رئاسة المعمارى والتر جروبيوس لتعبر عن إرادة الشعب الألمانى قبل الحرب العالمية الأولى أن عالم الفنون والحرف لابد أن يتحالف مع عالم الصناعة من أجل الارتقاء بجودة المنتج الألمانى.
ومن جانب آخر فإن تأثر المناخ العام بالميكنة والإنتاج الكمى للصناعة وتقدم الآلة الحربية التى تسببت فى تشريد الملايين من جراء الحروب تتطلب حلا لتسكين تلك الأعداد الهائلة من البشر.
ولم تلبث تلك المدرسة لتحقيق أفكار أعضاءها من المعماريين ذوى الفكر البارز إلا أن تم إغلاقها بالأمر بعد أن جاء هتلر إلى السلطة معتبرا أن الباوهاوس تمثل فكرا اشتراكيا خالصا. وكان لابد أن تتوائم العمارة مع الفكر النازى بالتخلى عن الإبداع المعمارى والهروب إلى أرض الحلم الأمريكى حيث تم استقطاب المعماريين أمثال ميس فان دروه و نبوغ معماريين محليين مثل فرانك لويد رايت.
واتسم الفكر الاشتراكى الأوروبى بظاهرة الإسكان الجماعى قبل الحرب العالمية الثانية بصفة عامة والذى تميز بالتحفظ فى كل من الشكل والوظيفة ليتناسب مع السرعة والكفاءة فى مواجهة الهدم الحربى الواسع النطاق. وكان من الأهداف الظاهرة توفير المسكن الصحى والذى يدخله الشمس والهواء ويطل على المساحات الخضراء من الحدائق فى محاولة معادلة الطبقات العاملة بما تميزت به الطبقات البرجوازية.
وما لبث الفكر الاشتراكى فى العمارة والإسكان أن انتهى فى البلدان الأوروبية مثل النمسا وهولندا بوصول الفاشية للحكم وتوجهات الاتحاد مع النازية الألمانية فى عام 1938 ، وانعكس ذلك على المبانى العامة الثقيلة ذات الطراز الكلاسيكى المحدث (neo-classical) لتفوق عظمة روما الامبراطورية من أمثال الاستاد الأوليمبى الضخم ببرلين والذى لا يزال مستخدما حتى الآن، والمصانع تصمم بالاتجاه الأولى للتكنولوجيا المتطورة (proto high-tech) ولم تختلف كثيرا العمارة الفاشية فى ميلها للطراز الكلاسيكى المحدث.
وفى الفترة التى خبت فيها العمارة أثر الحرب العالمية الثانية فى الاربعينات فى أوروبا استمتعت الولايات المتحدة الأمريكية والتى لم تستطع قنابل ألمانيا أو اليابان أن تمسها بازدهار اقتصادى عظيم. وكانت هذه حقبة القطارات ذات السرعة الكبيرة ومدينة هوليوود فى أوجها، وموسيقى الجاز، وإرساء شكل جديد من العمارة الملساء المطمأنة تحت مسمى الطراز الدولى (international style) والتى عرفت باسم حداثة منتصف القرن.
ولم يكن الطراز الدولى سوى أسلوب للتصميم والبناء يصهر الطاقة المحلية وخبرات المبانى سابقة التجهيز والمعبرة عن الكفاءة العالية للصناعة الأمريكية مع المنطقية الاختزالية لأساتذة

عمارة الباوهاوس الألمان . وأهم ما تميزت به تلك العمارة هو الحرية بمعناها الأنسانى والسياسى، فانعكس ذلك على الواجهات البيضاء المنيرة الدافئة المفتوحة على الطبيعة وذات المسقط الأفقى المفتوح والخالى من التعقيدات التاريخية التى استمرت لقرون عديدة.

وفى تأكيد لتأثر العمارة وملازمتها للفكر السائد ظهرت عمارة ما بعد الحداثة (nredom tsop erutcetihcra)على أثر نشر روبرت فنتورى لمنشور باسم التعقيد والتناقض فى العمارة (dnature Complexity cetihcrA ni noitcidartnoC) والذى قلب فيه قول ميز المأثور" القليل كثير" ssel erom si ليصبح "القليل ممل" erob si ssel متحيزا إلى الحيوية المشوشة فى العمارة كما كان يعتقد فى الغموض الجمالى والتوتر البصرى فى محاولة تحقيق ما يستحقه الناس من بهجة والثراء بعد ما عانى العالم من مسكنات المبانى الكئيبة القاسية التى لا تدين بشئ لإحساس المكان بينما تدين بكل شئ لمنطقيتها الداخلية. وأخذ هذا الفكرالمعمارى مرحلة ليختمر تحت مسمى ما بعد الحداثة الذى نشأ أصلا فى مجال الأدب والفلسفة أدى إلى فيض من المبانى الملونة كالحلوى فى السبعينات والثمانينات والتى كانت عبارة عن خليط من محاكاة الاتجاهات التاريخية واتجاهات هوليود الملصوقة على مبان تقليدية منشأة من إطارات الصلب أو الخرسانة بطريقة طفولية.

شكل رقم :2
مركز بومبيدو بباريس (1971- 1977)

وبسبب التطورات المتلاحقة والمتضاعفة فى التكنولوجيا بدأت العمارة تأخذ أشكالا متوافقة بدأت بأشهر نصب تذكارى فى اتجاه التكنولوجيا المتطورة وهو مركز بومبيدو بباريس (1971- 1977) والذى يظهر كأنه آلة متحركة تحرر الفراغ الداخلى بوضع كل النظم العاملة خارج غلاف المبنى من سلالم ومصاعد ومجارى التهوية والتكييف وما إلى ذلك. (شكل رقم 2)

أما الطفرة المعاصرة فهى لابد وأن تتلاءم مع الطفرة التى شملت شتى مجالات الحياة من تطبيقات الثورة الرقمية واستخدام الحاسب الآلى بدءا من التصميم بمساعدة الحاسب الآلى (Computer Aided Design CAD) منذ بداية الستينات ومحاولة إيجاد الحلول للكثير من المشاكل المتعلقة بنظم الإنشاء وأثرت فى المنتج المعمارى وأحدثت طفرة فى مجال العمارة وفتحت الطريق أمام البرمجيات التى تسهل عملية الإبداع المعمارى فى جميع مراحله وإعداد البرامج الزمنية وإدارة وتنفيذ المشروعات[4]. ومن ثم فقد ظهرت مفاهيم ومصطلحات جديدة مثل (Cyberspace, Hybrid Space) [5] أو العمارة الرقمية والتى ترسخ الأفكار السيريالية (ما وراء الخيال) فى محاولة للخلط بين الخيال والحقيقة. وأصبح من الممكن الاعتماد على الحاسب الآلى فى تط وير التشكيلات المعمارية وتحويلها من مجرد أفكار مجسمة إلى واقع ملموس فى أشكال غير تقليدية. ومن أشهر البرامج التى تم تط ويرها فى هذا الشأن برنامج (CATIA) لتصميم النظم الميكانيكية والذى تم تطويره بواسطة شركة (Dassault Systèmes) التى كانت مسئولة عن تصميم طائرات الميراج الفرنسية وساعد على تصميم أجسام الطائرات بصورة متكاملة. وقد تبنى استخدام هذا البرنامج بعض المعماريون مثل فرانك جيرى وفريق التنفيذ الخاص به لإتمام متحف جوجنهايم بلباو(Guggenheim Museum) بأسبانيا.(شكل رقم 3)

شكل رقم (3) :
متحف جوجنهايم – بلباو- بأسبانيا

---

[4] طبقا لما ذكر فى كتاب Sebestyen، فإنه تمكنت كلية العمارة بجامعة (Leuven) ببلجيكا من وضع نظام (CAD) معقد لتصميم المستشفيات، يمكن عن طريق هذا النظام وضع أى تصميم لمستشفى وفقا للمعايير القياسية المعتمدة.

Gyula Sebestyen: ***"New Architecture& Technology"***, Architectural Press, 2003

[5] **Derrick De Kerckhove** : ***"Cyberarchitecture , Revolution in Architecture"*** , Birkhauser Verlag AG, 2001 , p. 21

4- التأثر المحلى بالعمارة الغربية

بداية بدا التأثر بالفكر الأجنبى فى تشكيل الهوية مبررا أو على الأقل يبدو منطقيا حيث مرت البلاد بأساليب حكم أملت فكرها على واقع الحياة المحلى ثم انقلب مؤخرا إلى تأثر غير منطقى ليس فيه إرغام ولكنه جاء نتيجة إفلاس فكرى ونقص فى الانتماء والثقة فى النفس ساد العموم فى المجتمع. فإن الأسباب المنطقية قد أحاطت بعملية التأثير الغربى فى الفكر المعمارى المحلى نظرا للتفوق الغربى فى شتى المجالات. فقد شهدت البلاد لسنوات طويلة هيمنة فكرية غربية سادت عهد الخديو اسماعيل فى أواخر القرن التاسع عشر فى محاولة النهوض بالقاهرة والاسكندرية عمرانيا ومعماريا رغبة منه أن تكونا على أحسن ما تكون عليه أوروبا فى محاولة لمنافسة باريس ببناياتهما المصممة من قبل معماريى أوروبا أنفسهم. ثم جاء تأثير الاحتلال الانجليزى فى عهد الخديو توفيق فازدادت سطوة الفكر الغربى وازداد تأثيره. وقد ساعدت البنية الاقتصادية للبلاد فى استنزاف الموارد فى تنمية حضارية لا يمكن إنكارها إلا أنه قد صاحبها التأثر البالغ بالأساليب الغربية فى البناء والتخطيط.

ولم تسلم فترة ما بعد ثورة يوليو 1952 من التأثر بالفكر الاشتراكى فظهرت فكرة الإسكان الجماعى فى بلوكات الإسكان الشعبى فى محاولة لتوفير المسكن الصحى الذى يدخله الشمس والهواء ولكنه لم يناسب احتياجات الأسر المصرية الكبيرة والممتدة وعاداتها ولم تبقى الفراغات البينية حدائقا كما كانت النوايا ولكن أثبتت التجربة أن كانت تلك الفراغات مخزون استراتيجى من المسطحات لمواجهة الاحتياجات المختلفة للسكان مثل تربية الدواجن أو التخزين أو إلقاء القمامة.

ثم انتقل التقليد من المرحلة المبررة إلى مرحلة التقليد غير المبرر فى عصر ما بعد الحداثة , فهى مرحلة مر بها الغرب فى إعادة صياغة الفكر المعمارى بوعى أساسه الاختلاف والثورة على ما هو معروف أكثر منه تطورا فكريا له أساس عقلانى والتى قد اعتبرها النقاد فى الغرب نفسه مجموعة من "الحيل الذكية" بلفظ أدوين لوتيانز Edwin Lutyens بعيدا عن معرفة واستيعاب معماريي القرون السابقة. فلم يكن تقليد العمارة المحلية للغرب إلا نوع من التقليد الأعمى متأثرين بنمط اقتباس استمر عشرات السنين بتسليم أن كل ما يجئ من الغرب لا بد وأن يكون أفضل.

ووجدت العمارة المحلية مشكلة كبيرة فى مسايرة المحاكة للعمارة الغربية منذ بدأت الأخيرة فى اللجوء إلى التكنولوجيا المتطورة فى مرحلة ما بعد الحداثة. فإن المسألة لم تعد طابعا معماريا معبرا فحسب وإنما كان لابد أن تستعمل تلك التكنولوجيا فعليا لتعبر عنها. فعجز المعماريون المحليون من أنصار التطورفى الوفاء بمسيرة التقدم، فكان لابد من اتخاذ حلولا غاية فى التكلفة وهى تتمثل إما فى استيراد النظم الانشائية والبنائية كما هى من الغرب المتقدم مثل واجهات الستائر الزجاجية والمصاعد وأنظمة التكييف ومعداتها بالكامل، وإما اللجوء إلى التصنيع المحلى لحل مشكلة توفير بعض المكونات والتى لم تلق نجاحا فى الكفاءة فى أى من تلك الصناعات ولم تلقى قبول أو ثقة البناين المحليين. والنتيجة كانت تعثر التقليد فى مجرد المحاكة الشكلية لعمارة ما بعد الحداثة عما يحدث فى الغرب بنحو عشرين عاما على الأقل.

بالرغم من أن العمارة فى مصر بدأت فى فقدان هويتها منذ عصر الخديو إسماعيل فى القرن التاسع عشر وأخذت فى التأثر بالعمارة الغربية منذ ذلك الحين إلا أن مشكلة الهوية تزداد تأزما فى العصر الحالى أكثر من ذى قبل. فبالرغم من فخر البلاد فى عصر الخديو اسماعيل والخديو توفيق بهذا النمو والتقدم الذى ظهرت به المدن الكبرى إلا أن هذا المظهر كان مستوردا طبق الأصل. وهذا المظهر وإن كان غير معبر عن الهوية المصرية الموروثة إلا إننا نستطيع أن نقر بأننا كنا أهلا لهذه الطفرة باقتصاد قادر على استيعاب هذا النمو المعمارى والعمرانى بتبادل التميز الإنتاجى للزراعة مع التبادل التكنولوجى المتكافئ. و ساعد على استيعاب المجتمع المحلى ذلك التأثر بالغرب مبكرا عن كثير من دول العالم السبق فى استحداث وسائل الانتقال الحديثة مثل الترام والسيارات الخاصة وإنشاء السكك الحديدية. كما ظهرت الشوارع بشبكات البنية التحتية المناسبة وتمت صيانتها ونظافتها بمنظومة متكاملة فلم يبدو التقدم حينئذ مستغربا.

والآن يظهر على السطح مؤشرات للتطور المذهل فى استخدام الحاسب الآلى، ومثال على ذلك مؤسسة (Gehry Technologies) التابعة للمعمارى فرانك جيرى، حيث تقوم تلك المؤسسة بتطوير العديد من البرمجيات التى تساعد على عملية التنفي ذ وكذا عمليات التصنيع وإدارة المشروعات وغيرها وتستمد المؤسسة التى أنشأت فى عام 2002م الخبرة منذ بداية التسعينات وتحديدا عند البدء فى تنفيذ مشروع متحف جوجنهايم بأسبانيا. وتتبنى الم ؤسسة نظرية المشروع الرقمى (Digital Product) لتنتهى من الحزمة البرمجية فى منتصف 2004م . ولذلك يقع المعماريون فى مأزق للانسياق فى تقليد العمارة التخيلية والتوقف عند صعوبات تصميم وتوقيع الشبكات المنحنية المكونة لها من الحوائط الملساء سواء على الورق أوعلى الطبيعة [6]. فلم يعد الشكل الحديث مجرد تعبيرا رمزيا وإنما أصبحت الحداثة مكونا أساسيا من المنتج المعمارى وأصبح من متطلبات التقليد ضرورة امتلاك التكنولوجيا بصفة فعلية وليس افتعالية [7]. وظهر جليا أن التقليد وإن بدأ مبررا فى السابق بامتلاك مقوماته ومفاتيحه إلا أنه لم يعد هناك منطق أو تبرير للتقليد فى المرحلة الحالية لفقدان الأدوات المنفذة له.

---

[6] **محمد عصام الدين على حافظ : " التطور التكنولوجى كمدخل لعمارة القرن الواحد والعشرين، دراسة تحليلية لتأثير التكنولوجيا المتقدمة على العمارة فى مصر"** ، رسالة ماجستير – كلية الهندسة ،جامعة القاهرة2004 -، ص 122.

[7] تطرق الأستاذ رجب البنا فى كتابه "المصريون فى المرآة" إلى تحديات القرن الجديد التى وصفها إلفريد توفلر فى كتبه الثلاثة "صدمة المستقبل" (1970) و"الموجة الثالثة" ثم فىكتابه " تحول السلطة" (1990) وقد صور فى كتابه الأخير صور خيبة الأمل التى ستصيب المجتمعات التى لم تعمل للخاق بمن سبقوها، لأنها سوف تجد نفسها بعد ذلك عاجزة عن اللحاق بهم. وستجد أنها تسير إلى الخلف بمقدار ما يندفع الآخرون إلى الأمام بسرعة وقوة، وأضاف إلى ذلك أن مشكلة المتخلفين أنهم يحسبون أن مجرد إقتناء أحدث التكنولوجيات يكفى لتعويض زمن التخلف، ولكن الصدمة التى يواجهونها هى أنهم يملكون هذه التكنولوجيات ولا يعلمون كيف يستثمرونها فى اللحاق بمن سبقوهم.

5- مشكلة البحث عن الهوية فى مبانى الماضى

لا شك أن المبانىالتراثية فى القاهرة التاريخية تشكل قاعدة هامة لعمران وعمارة قد نبعت من واقعنا وعبرت عن احتياجاتنا الفعلية دون افتعال أو تقليد. وتكاد تكون هى مصدر إلهام المعماريين المشتاقين للتعبير الصريح عن الذات دون تزييف. ولكن تكمن المشكلة فى أن تلك المبانى تميزت بالصدق والصراحة فى التعبير عن واقع زمنه فى الماضى. هذا الماضى كان مفعما بالإلهام والوعى الفكرى والثقة بالنفس فانعكس بمقوماته على عمارته المعبرة عن عصره. وقد اتجهت بعض مدارس العمارة في القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين إلى التراث الرسمي الأصيل كتاريخ، فمنها من عاد إليه فأحياه تحت شعار الرجوع إلى البساطة والنقاء وهم أصحاب فكر الاحياء ، ومنهم من جمع من كل تراث فكرة وزهرة تحت شعار الانسان كوريث لكل الحضارات ، ومنهم من نظر للتراث كفكر وجوهر، ومنهم من اعتنقه كمظهر رمزي تعبيري. وإن كان هذا الغنى فى الشكل والجوهر مصدرا لحنين الخاصة والعامة من الناس و للحسرة على واقع انطوت ثقافتنا فيه تحت لواء التقدم الغربى دون مبرر فإننا نلتمس العزر لكل من يحاول إحياء عمارة تلك الحقبة، ولكنا يجب أن نقر بأن مجرد تكرارها لن يعبر عن الواقع الفكرى والاجتماعى والاقتصادى لعصرنا الحالى وبالتالى ستفقد أجمل ما فيها وهو الصدق فى التعبير.

هذا الصدق فى التعبير لا يمكن الحصول عليه طالما نبنى الهياكل الخرسانية ونكسوها بالحجارة فى محاولة إخفاء حقيقة إنشاءها أو افتعال المبالغة فى سمك الحوائط لتحاكىالمبانى الحاملة كأسلوب إنشائى طبيعى فى الماضى. وأحيانا لا يميز المعمارى المعاصر أن العمارة الإسلامية لم يكن بها طبقية ويقع فى خطأ التعميم عند الاقتباس من النماذج المعمارية الباقية من التراث على أنها النموذج الأوحد للحلول المعمارية، فإن بيت السحيمى وزينب خاتون والكريتلية لم تكن فى الحقيقة مساكن عامة الشعب وإنما هى بمثابة قصور لطبقة من القوم ولم تكن تلك المساكن المنتشرة فى ربوع بلادنا ببساطة. وإنما كان هناك أنماطا أخرى من الوحدات السكنية المتراكبة والمتعددة الأدوار وأقل تكلفة وتميزا.

كما أن من الطبيعى أن يدرك المعمارى أن العمارة التلقائية التقليدية فى أبهى العصور لم تكن تسلم من عدم توفير كافة الاحتياجات الانسانية ولم تكن تخلو من العيوب ، ولم تستمد قوتها إلا من خلال القيم الإسلامية نفسها تحت مبدأ لاضرر ولا ضرار، حيث تقدمت على سبيل المثال أولوية تأمين حقوق الجار علىى احتياجات الساكن، ولم يكن من المسموح فى التشريع الإسلامى تطاول جار عن جاره فى الارتفاع حتى لا يؤذيه على غير ما هو الحال فى الحاضر فى التحايل على الحصول على تراخيص التعلية بكافة الطرق. ولذا فإنه على سبيل العموم تحولت الهوية فى المجتمع من الخوف على المصلحة العامة إلى تحقيق المصلحة الفردية، فلا يمكننا عن طريق اختزال العمارة الإسلامية ببساطة بالاقتباس الشكلى أو إدراك المزايا المناخية و نقش الشكل الزخرفى دون التوغل فى إدراك تحقيق القيم ببعث الحياة فى الهوية.

ولا ننكر أن هناك تجارب جادة على درب تأصيل الهوية المحلية قامت على يد معماريين مبدعين أمثال المهندس حسن فتحى فى محاولاته لإعادة استكشاف طريقة أصيلة للبناء تتناسب مع العامة من الفقراء وتتصالح مع البيئة المحلية. إلا أن طريقة البناء بكل مميزاتها تضاربت مع الهوية الحقيقية لمجتمعات العصر حتى فى أكثر المناطق بساطة وبدائية من صحراء مصر. فلم تسلم تلك المجتمعات من التأثر بتشويش الفكر المعاصرعلى معطياتها البيئية وتفشت الرغبة فى تجاهل كل ما يتعلق بالموروث تحت دعوى التحديث، فنرى التغيرات فى قرية القرنة قد أتت على المبانى الطينية لتحل محلها الهياكل الخرسانية "التلقائية" تحت ضغوط فكر مادى مسيطر لإمكان التعلية وتأمين توفير السكنى لأولادهم. فلا اقتنع أهل الصحراء والمناطق الحارة بالأساليب الموروثة ولا استراحوا بالجديد وتوغلوا فى واقع فكرى تائه يبحث له عن هوية مثله كباقى مجتمعات الحضر.

شكل رقم(4)
أحد مبانى المهندس حسن فتحى تبين أسلوبه فى الإنشاء

وتبقى محاولة المهندس حسن فتحى تجربة جديرة بالدراسة والتطوير حيث استهدفت الاقتباس من التراث ما هو ممكن للتعميم على مستوى قاعدة اقتصادية كبيرة فكانت مبانيه بمثابة نماذج "افتعالية" يمكن تعميمها ونشرها حتى يصل بها إلى حد "التلقائية" إلا أنها لم تتوافق مع ظروف المجتمع بالكلية فوئدت التجربة فى مرحلة الافتعال فى ذلك العدد القليل من هذا النوع من المبانى. ولذلك تبقى تجربة المهندس حسن فتحى نبراسا للمعماريين من حيث المبدأ يمكن على غرارها الاستمرار فى طرح النماذج الفكرية سواء بالتطوير أو الابتكار حتى تلقى القبول لدى فئة عريضة من المجتمع ومن ثم تستمر لدى فئات أكثر اتساعا فى مقاومة هذا التيار الشديد من التأثير الغربى المعاصر. [8]

6- الخلاصة

من الخطأ التعبير عن أزمة الهوية بأنه لا توجد هوية للعمارة المحلية المعاصرة لأن الهوية لابد لها من الظهور من خلال ما يتميز به المجتمع من قيم ومظاهر معيشية وعادات وتقاليد وكثير من مناحى الحياة وأيضا العمارة، كما أنه لا توجد هوية صادقة وأخرى غير صادقة فهى لابد لها من الصدق فى التعبير إما عن شخصية قومية أو عن شخصية متخبطة ليس لها ثقة بنفسها. ولذلك فإن

[8] هذا مع ملاحظة أن يكون المجتمع من جهة أخرى مجتمعا واعيا تتكاتف مختلف السياسات فى تكوين فكر قومى خاص به يستند إلى ثقة بالنفس والاعتزاز بقيمه الدينية والاجتماعية.

أزمة الهوية التى يمر بها مجتمعنا المحلى فى الوقت الحاضر ليست أزمة معمارية بقدر ما تعكس بوضوح صفات المجتمع السلبية. إذا مع الشكوى العامة من افتقارنا لوجود طابع معمارى موحد للعمارة فى مصر فإنه لا يعتبر ذلك غيابا للتعبير عن الهوية وإنما هو إبراز لسمات الهوية الحالية لمظاهر مجتمع فى طابعه التشتيت وعدم الاعتزاز بالنفس والعشوائية وغياب الوضوح الفكرى والصدق فى التعبير.

وغالبا ما تظهر جماليات العمارة التلقائية فى المجتمعات البدائية لأنها تنبع من البساطة والفطرة وتعبر بصدق عن فنون غير متكلفة. ولكن بنفس الوقت لا تغيب العمارة التلقائية عن أى مجتمع سواء كان بدائيا أو متحضرا فى أى من الأزمنة. ف الامتدادات العمرانية التى أطلق عليها لفظ "العشوائيات" هى فى ترابطها من حيث الطابع والشكل والتخطيط فى حقيقة الأمر تمثل العمارة التلقائية للواقع المصرى فى مجتمعنا المعاصر وتعبر بصدق عن الهوية لقطاع كبير من المجتمع الشعبى بشقى شخصيته المستغل والمحتاج، وتبرز من خلال الإسكان المتواضع قناعة عامة بأن

تحقيق حلم وجود المأوى لم يترك فرصة لأى تعبير معمارى أو فنى غير التعبير عن هوية الفقر والاضطرار كسمة عامة . كما تمثل العمارة الرسمية فى عشوائياتها والتفاوت فى الارتفاعات والاستثناء والمحسوبية سواء بموافقات رسمية أو دونها وتغليب المصالح الفردية على المصلحة العامة كل ذلك يمثل انعكاسا صادقا أيضا لهوية المجتمع المعاصر.
ولا يمكن تحميل المعمارى كل الذنب فى الفشل فى تشكيل طابع معمارى يعبر عن هوية نرضى عنها. وإنما الهوية يشترك فى تكوينها عناصر كثيرة متشابكة ازدادت تعقيدا مع فقدان الثقة بالنفس من جهة ومع التأثر الواضح بالحضارات الغربية من جهة أخرى. فالرقى بالطابع لا يتحقق إلا من خلال الرقى أساسا بجوانب الشخصية العامة للمواطن وغرس القيم الأصيلة التى تستند إلى الترابط الاجتماعى والتكافل ال مادى والمعنوى والتجانس الأخلاقى. وبالتالى تكمن الأزمة فى تعبير الواقع المعمارى المعاصر عن عوامل أكثر عمقا من مجرد المظهر الذى قد يسعى إليه كثير من المعماريون .

ويبين الشكل رقم **(5)** أن التكوين الثقافى للمجتمع المحلى يلعب الدور الأكبر فى صياغة الهوية المعمارية المحلية. ومن الطبيعى أن تذوب ثقافة المعماريين فى الثقافة المحلية بما أنهم جزء من نسيج المجتمع بخلفيته الثقافية وأسلوب حياته وقيمه وبالتالى لا نفاجأ حين يشاركون فى ترويج العمارة الشعبية التلقائية التى تعكس طبيعة المجتمع، وهى التى تعبر عن الهوية والثقافة العامة بصورة طبيعية. أما القلة منهم من ذوى الشهرة والتميز ممن يقومون بتصميم المشروعات المتميزة والتى صنفها البحث بالعمارة "المتعمدة" لما تحظى به من اهتمام خاص بعملية التصميم فإن لهم فرصة أكبر لصياغة التعبير عن الهوية وإبداء الفكروالرمزية ويمكنهم التأثير فى توجيه المعانى. ولكن يبقى أيضا تأثير هؤلاء محدودا فى صياغة الهوية، إما لافتقاد بعضهم الفكرة أصلا وانسياقهم وراء التأثير الغربى أو لخضوع البعض الآخر من أصحاب الإتجاهات الفكرية فى هذا الخط للضغوط الكثيرة التى تحيد بالتصميم عن اتجاهاته الأصلية. وبالرغم من محدودية دور المعمارى المصرى المعاصر فى تشكيل هوية معمارية مرضية إلا أن له دور هام فى مساعدة

المجتمع فى البحث عن ذاته بتطوير المنتج المعمارى إذ أن العلاقة بين الإنسان والبيئة تفاعلية وليست أحادية الإتجاه. أى أن المعمارى يمكنه بصفة فردية بث بعض القيم من خلال تصميماته التى لابد أن تنعكس على المفاهيم والسلوكيات ولو بصفة جزئية.

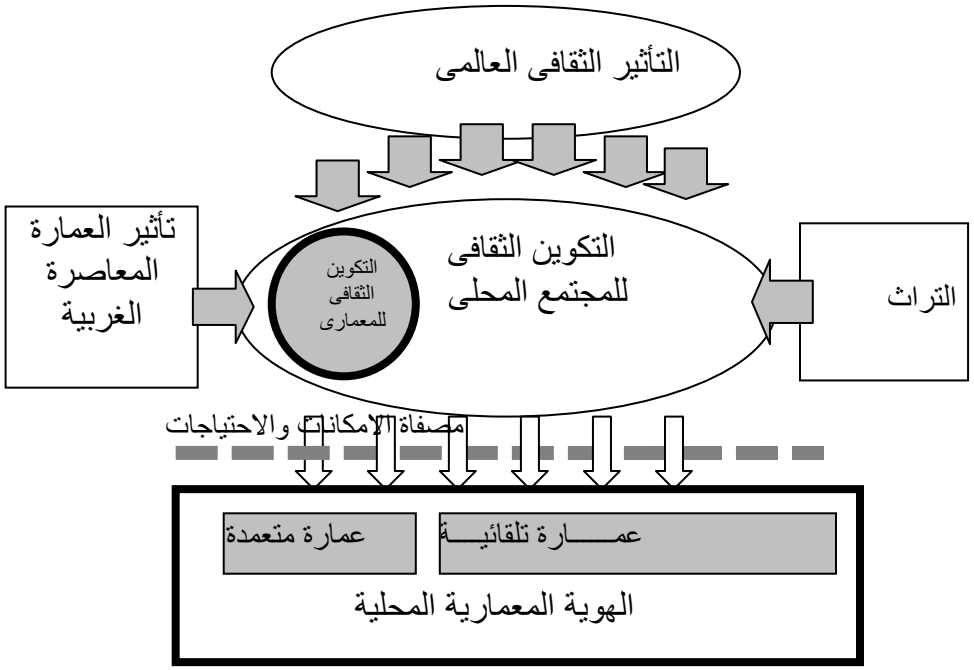

شكل رقم (5) :
يبين موقع المعمارى من منظومة تأثير الفكر المعاصر ودوره المحدود فى تشكيل الهوية المعمارية.

ولا يفوتنا عند ذكر التأثر دون وعى بالفكر الغربى فى العمارة ألا نغفل العيوب التى تشوب التجربة الغربية والتى تعبر هى الأخرى عن الهوية الغربية التى لا تخلو من عيوب إن إردنا التعلم منها والاتجاه إليها [9] , فإن إتجاه مدارسها للتفرد لم يتحقق إلا من خلال كلفة باهظة لتحقيق غرض الإعلان عن القوة ولتكون رمزا لتفوقهم فى العلوم. كما أن العمارة المتعمدة عندهم لا تخلو من افتعال لا يقوى على منافسة المعطيات التراثية التي سبقتها ، فضلا عن أن المنتج المعمارى الغربى الحديث يتميز بانعزالية غير خافية ولباقة فردية وهو عكس الصفة الأساسية لعماراتنا التراثية التي تتميز بالانسجام والتوافق مع كل ما حولها من بيئية طبيعية وفيزيائية.

ومن الخطأ أن نتخفى وراء تصميم المبانى المعاصرة بشكل مبانى التراث المجيد دون اكتساب الميزات الكامنة لتلك المبانى سواء الاجتماعية أو المناخية أو الاقتصادية ومدى تناسب ذلك مع حقائق العصر. فإن الرجوع إلى الماضى بمجرد الشكل هو تزييف لحقيقة

---

[9] **محمد مكية ـ " البيئة العربية والتخطيط العمراني بين الاصالة والحداثة"** ـ اليمن ـ الاغاخان ـ1983.

الحاضر كما أنه تمسيخ لصدق وقوة الماضى [10]. ولا مانع من استلهام الطريق من التراث المجيد ولكن بتعبير حقيقى للدخول مرة ثانية فى مجرى التاريخ، وألا يكون المنتج المعمارى تقليدا شكليا مكلفا لمهارات حرفية لم تعد موجودة أو أن يكون مسخا لعمارة غنية كانت أدواتها متاحة. فالعمارة المعبرة فعلا عن هوية صادقة لا تكون إلا بالانتشار بتلقائية ودون تكلف وتكون الأنسب إقتصاديا والمفضلة بصريا من الأغلبية.
وإن كانت البداية فى البحث عن الهوية المعمارية هى اجتذاب خيوط الحضارة العربية المندثرة فلا يجب أن يكون ذلك ضمن ظاهرة "عبادة الماضى" التى جاءت نتيجة لاصطدام العرب بحقيقة مرة لا يستطيعون استيعابها والتعامل معها بواقعية للتغلب عليها، وهى أن المسافة بينهم وبين العالم "المتقدم" أصبحت كبيرة، وبدلا من أن يتحمل العربى مسئوليات ه وهجوم العيش فى الحاضر، وصعوبات العمل الشاق لبناء المستقبل، استسهل الهروب إلى الماضى. ويبقى الأسلوب الصحيح هو استعادة الثقة بالنفس أولا، واستجماع القوة الذاتية وتنمية فكر ومهارات محلية تدعو للفخر والاعتزاز نحترمها وننميها.

- المراجع العربية

- **إيمان محمد عطية** : "الطابع المعماري الإسلامي ومحاولات تأهيله في العمارة العربية المعاصرة" – مجلة جمعية المهندسين المصرية – العدد الرابع 2002 .

- **حسن فتحى** : "عمارة الفقراء" ترجمة :د. مصطفى إبراهيم فهمى - دار العين للنشرو التوزيع– الطبعة الثالثة- 2000 م ص 45. وقد نشر أصلا فى 1969 تحت عنوان "القرنة : قصة قريتين" فى طبعة محدودة ، بواسطة وزارة الثقافة فى القاهرة، ونشر فى 1973 بواسطة جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ونشر فى مصر لأول مرة 1989 بواسطة الجامعة الأمريكية فى القاهرة.

- **رجب البنا** : "المصريون فى المرآة" – الهيئة المصرية للكتاب –2000م.
4- **سيد التوني** : "محاضرات تمهيدي ماجستير " – كلية الهندسة – جامعة القاهرة – 1983 .

- **عبد الباقي إبراهيم** : "المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي" – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة – مصر – 1987 .

[10] **رجب البنا :"المصريون فى المرآة"** – الهيئة المصرية للكتاب –2000– ص 66

- **محمد عصام الدين على حافظ** : " التطور التكنولوجى كمدخل لعمارة القرن الواحد والعشرين، دراسة تحليلية لتأثير التكنولوجيا المتقدمة على العمارة فى مصر" ، رسالة ماجستير – كلية الهندسة ،جامعة القاهرة -2004 .

- **محمد مكية** : " البيئة العربية والتخطيط العمراني بين الأصالة والحديث" – جائزة الأغاخان للعمارة – صنعاء – اليمن – مايو 1983 .

- المراجع الأجنبية :

- **Derrick De Kerckhove :** ***"CYBERARCHITECTURE, REVOLUTION IN ARCHITECTURE",*** Birkhauser Verlag AG, 2001

- **Gyula Sebestyen:** ***"NEW ARCHITECTURE & TECHNOLOGY",*** Architectural Press, 2003